

مفاهيم القرآن

(165) ولا غرو في أن يكون الصدر والذيل راجعين إلى موضوع وما ورد في الـثناء راجعاً إلى غيره فإنّ ذلك من فنون البلاغة وأساليبها، نرى نظيره في الذكر الحكيم وكلام البلغاء، وعليه ديدن العرب في محاوراتهم، فربما يرد في موضوع قبل أن يفرغ من الموضوع الذي كان يبحث عنه ثم يرجع إليه ثانياً. يقول الطبرسي: من عادة الفصحاء في كلامهم أن يذهبون من خطاب إلى غيره ويعودون إليه، والقرآن من ذلك مملوء، وكذلك كلام العرب وأشعارهم. (1) قال الشيخ محمد عبده: إنّ من عادة القرآن أن ينتقل بالإنسان من شأن إلى شأن ثم يعود إلى مباحث المقصد الواحد المرة بعد المرة. (2) وروي عن الإمام جعفر الصادق - عليه السلام - : "إنّ الآية من القرآن يكون أوّلها في شيء وآخرها في شيء". (3) ولاجل أن يقف القارئ على صحة ما قاله هؤلاء الأكابر نأتي بشاهد، فنقول: قال سبحانه ناقلًا عن "العزیز" مخاطباً زوجته: (إِنَّهُ مِنْ كَذِبٍ ذَكْنٌ إِنَّ كَذِبٍ ذَكْنٌ عَظِيمٌ)* يُوسُفُ (1) مجمع البيان: 4|357. (2) تفسير المنار: 2|451. (3) الكاشف: